المقدمة

هذا الكتيب هو عبارة عن مجموعة مقالات كتبها المؤلف ونشرها خلال السنوات الخمس الماضية ، ويجمع بينها أنها تعالج إبداعات إسلامية معاصرة بأسلوب المقال الصحفي السريع، وليس على طريقة الدراسات الأكاديمية .

كاتب هذه السطور ليس ناقداً متمرساً ، وإنما هو كاتب يجمع بين السياسة والفكر ، غير أن عشقه للأدب والفن إضافة إلى ندرة الكتابات النقدية الإسلامية دفعاه إلى كتابة هذه المقالات بين الفينة والأخرى ، بدافع التعريف ببعض الإصدارات الإسلامية الأدبية ، وأحياناً بدافع تصويب مسيرة الأدب الإسلامي والتي يرى الكاتب بأنها، وتحت شعارات معينة على غرار (المضمون هو الأهم) ، قد حملت الكثير من الأدب الغث وأدخلته تحت دائرة الابداع الإسلامي، مما شوّه صورة هذا الإبداع عند أكثرالناس .

كاتب هذه السطور ، وكما كتب في السياسة والفكر محاولاً تقديم بعض الرؤى التي تخدم مسيرة العمل الإسلامي ، كتب هذه المقالات من المنطلق نفسه ، إضافة إلى قناعته بأن الأدب الإسلامي هو أدب إنساني بالدرجة

الأولى ، ويجب أن يتبوأ مقعده كرائد في هذا الميدان ، كما هو شأن الإسلام في كل ميدان .

لا أحب أن ينظر إلى هذا الكتيب على أنه تعريف بمجموعة من الأعمال الإبداعية الإسلامية بقدر ما أود أن ينظر له على أنه يقدم رؤية ما حول مجمل مسيرة الابداع الإسلامي ،تساهم،من وجهة نظري، في تحقيق عالميته في المستقبل.

وبعد فكلي أمل أن تسهم هذه المقالات في تصويب مسيرة الابداع الإسلامي ، وهو الهدف الذي من أجله كتبت، ومن أجله نشرت .

والله من وراء القصد

ياسر الزعاترة

تقديم

بقلم : د. عماد الدين خليل

ينطوي هذا الكتاب -رغم صغر مساحته- على إضافتين قيّمتين لحركة الأدب الإسلامي المعاصر ، تتمثل أولاهما باغناء هذه الحركة بمحاولات النقد التطبيقي من خلال التعامل مع النص الإبداعي ، وهي الحلقة الأكثر شحّة وضعفاً في معمارهذا الأدب. وتشتمل ثانيتهما بالتأكيد على ضرورة إعادة تعديل الوقفة التي جنحت بالمعطيات الأدبية الإسلامية -لسبب أو آخر- باتجاه «المضمونية» على حساب التقنيات الإبداعية وصيغ التعبير الجمالي .

والأدب لن يكون أدباً إلا بهذا التوازن بين الشكل والمضمون ، أو بين المبنى والمعنى ، كما يقول قدماؤنا ، وإلا بالانزياح في استعمالات اللغة عن مواقعها ، وكسر تقاليدها اليومية استجابة للمطالب الإبداعية نفسها ، كما يقول المحدثون ، وبدون هذا وذاك يصير الأدب معاني مطروحة على قارعة الطريق، إذا استخدمنا عبارة (الجاحظ)المعروفة .

والأخ الاستاذ (ياسر الزعاترة) بحسّه الصحفي المرهف ، وببحثه المكافح عن صيغ للخطاب الإعلامي الإسلامي أكثر إقناعاً وأشدّ تأثيراً ، يمضي بالرؤية ذاتها لكي يتعامل مع الأدب الإسلامي . وهو يقول في مقدمته الموجزة وبوضوح:

«كاتب هذه السطور، وكما كتب في السياسة والفكر محاولاً تقديم بعض الرؤى التي تخدم مسيرة العمل الإسلامي ، كتب هذه المقالات من المنطلق نفسه ، إضافة إلى قناعته بأن الأدب الإسلامي هو أدب إنساني بالدرجة الأولى ويجب أن يتبوأ مقعده كرائد في هذا الميدان ، كما هو شأن الإسلام في كل ميدان».

يتعامل المؤلف في كتابه هذا مع ستة دواوين شعرية ، فضلاً عن إضاءات نقدية لعدد من الموضوعات الملحّة كالنشيد والمسرحية والالتزام . . ويقف لحظات عند (الأميري) -رحمه الله- لا لكي يتحدث عن ديوان بالذات من دواوينه ، وإنما لكي يعالج بإيجاز بعض المسائل المهمة التي يثيرها عطاؤه الشعري الخصب .

معظم الدواوين التي يتعامل معها المؤلف تتحدث عن «فلسطين» ، أو تعكس ، بعبارة أدق «القضية الفلسطينية» بلغة الإبداع ، الشعري ، وهذا أمر «طبيعي ، فالمؤلف هو ابن «القضية» ، والمجلة التي يرأس تحريرها : «فلسطين المسلمة» علّمته كيف يلتقط كل صوت يحكي عنها أو يومئ إليها ، صحفياً كان أم إبداعياً . .

ومع ذلك فهو يمضي لكي يوسّع مدى الرؤية فيُعمل

أدواته النقدية في دواوين أخرى تتحدث عن الهم الإسلامي في كل مكان ، أو تتمركز عند بقعة ما من عالم الإسلام لا تزال تنزّ دماً وعذاباً ودخاناً كالبوسنة والهرسك .

وثمة منظومة من الثوابت أو المعايير النقدية التي تتبلور شيئاً فشيئاً عبر قراءاته هذه في دواوين الشعراء الإسلاميين ، وبما أنها تنبثق عن رؤيته الإسلامية النقيّة كالبلّور .. بما أنها تتشكل في رحمها وتتلقى الدم والنسغ من نبضها وإيقاعها ، فإن هذه الثوابت أو المعايير ستساعد على تأصيل الموقف النقدي لحركة الأدب الإسلامي ، واغنائه بالمزيد من المفردات، وتلك هي -مرة أخرى- القيمة التي ينطوي عليها الكتاب .

إن القارئ يجد نفسه -على سبيل المثال- إزاء مجابهة جريئة للقيم الغربية ، على مستوى التنظير والنقد والابداع ، بغض النظر عن موقعها من اليمين أو اليسار . ويزيد هذه المجابهة قيمة أنها تتحرك تحت المظلة الإيمانية في زمن غدا فيه الهجوم على مواقع الكارتل اليميني أو اليساري يمثل مجازفة قد تعزل صاحبها وتضعه تحت طائلة الصمت أو الحصار .

هناك التأكيد على التقنيات الإبداعية باعتبارها شرطاً

ضرورياً للأدب الإسلامي قبالة كل المحاولات التي ترمي بثقلها صوب المضمون ، مضحيّة بالشكل ، الأمر الذي جعل النقّاد من خارج الإسلامية يجدون ثغرة واسعة للطعن ضد الأدب الإسلامي باعتباره أدباً وعظياً .

وهناك الدعوة إلى التحقق بالتوازن الإبداعي بين الخاص والعام . . بين الإسلامي والعالمي ، والتأكيد المتواصل على ضرورة أن يكون أدبنا أدباً إنسانياً ، بما أنه في شروطه التصوّرية أدباً يتوجه بالخطاب إلى الإنسان .

وهناك رفض التقريرية ، أو المباشرة في التعامل مع الوقائع والخبرات والاشياء ، وهو لا يجد ، حتى في قصيدة الحرب ، ضرورة لأن تمتلئ «بارود‌اً ومدافع ومتفجرات ، بل لعلها تكون أجمل عندما تحمل كل معاني الطهر والعذوبة وتعبق بالروح الإنسانية» .

وثمة دعوة لاعتماد الرمز «القرآني» و «التاريخي» و «التراثي» في المعطيات الابداعية الإسلامي التي لم تحاول أن توظف هذا النبع الثرّ بما فيه الكفاية .

وتأكيد على التحقّق بما يمكن تسميته بالتوازن الالتزامي بين الشعر والسياسة اللذين يشتبكان بين الحين والحين فيغلب

أحدهما الآخر «ولكن التوازن يجب أن يظل سيّد الموقف بحيث لا يقع الشاعر أسير الخطاب السياسي الفاقع المحمول على أكتاف اللغة العادية ». والشعر -بتعبير المؤلف- يكون «أكثر جمالاً حين يحمل السياسة ، لا حين تحمله السياسة».

وانفتاح على سائر أصناف التقنيات الشعرية العربية ، واعتبار «الشعر الحرّ» ، أو «شعر التفعيلة» كما يسمى أحياناً، فرصة جيدة للشاعر «لكي يتدفق شعورياً بأي كم من المقاطع التي يحتاجها لاستكمال تدفقه الشعري . . ولكي يتخلص من الحاح القافية» .

واعتماد لغة مشحونة في تعامله النقدي ، تغذيها لغة مستمدة من قاموس هذا الدين ، فكأنه بذلك يطرح لغة بديلة عن تلك اللغة المستهلكة التي اعتمدها نقّاد اليسار وخصوم الإسلام عبر خمسين عاماً أو يزيد . ونقف لحظات عند شاهد واحد ، بقدر ما يسمح به المجال ، وإلا فإن الكتاب كلّه يصير شاهداً على هذه اللغة التي تعرف كيف تستمد قدرتها على التعبير من المنظور الايماني الأصيل . إنه يقول في سياق قراءته لديوان «القدس في العيون» للاستاذ الشاعر «كمال رشيد» : «وحدهم الشعراء الإسلاميون هم الذين أدركوا سرّ هذه الدفقة الجديدة في الدم العربي

المعاصر . . وحدهم الذين تسلّلوا إلى قلب الظاهرة ، وجلوا خباياها وأعلنوا على الملأ أن حصان الجهاد الذي طالت كبوته بدأ ينهض من جديد في أزقة جباليا والبريج وبلاطة وجنين ونابلس والقدس . إنه الإسلامي المجاهد الذي غيّب زمناً طويلاً عن ساحة الصراع ، يعود من جديد بمقلاع وحجر وسكين في اليد المتوضئة ومصحف في الجيب أو القلب» .

ثمة -أيضاً- ملاحظة نقدية للنصوص الإبداعية الأكثر حداثة ، تنطوي على محاولة لتنفيذ التوازي الضروري بين الحدث الإسلامي الأكثر سخونة وبين التعامل الإبداعي والنقدي معه . ويأتي عرضه لديوان «جسر على نهر درينا» للشاعر الاستاذ حسن الأمراني الذي يتعامل مع مذبحة الإسلام في البوسنة . . في هذا السياق . .

ودعوة لكسر حاجز اللغة وجعل الأدب الإسلامي يمضي لكي يُسمع صوته لكل مسلم في هذا العالم ، بل لكل إنسان . . إنه -مثلاً- يجد «بأن من الضروري أن يترجم ديوان (جسر على نهر درينا) إلى اللغات الإسلامية ومنها اللغة البوسنوية نفسها» . . وهي دعوة تتصادى مع الحاح الكاتب على ضرورة أن يكون أدبنا الإسلامي أدباً عالمياً .

ثمة -أخيراً- ما يجب أن يقال . .

إن هذا الذي بين يدي القارئ يتشكل على يدي صاحبه الذي تحاصره هموم العمل الصحفي ، ولكنه لا يجد في ذلك أي مبرّر للهرب من مسؤوليته «الأدبية» إزاء النصوص الإبداعية التي ينسجها الإسلاميون بصمت فلا يكاد أحد يعرف عنها شيئاً ، لأن صوت النقد الإسلامي لا يزال مغيباً . .

عشرات من النصوص الإبداعية يقتلها الصمت، وعشرات أخرى لا تجد فرصتها إلا في أبواب «كتب صدرت حديثاً» على الصفحات الأخيرة من الصحف والمجلات .

وأدباؤنا الإسلاميون تستغرقهم الهموم الأكاديمية حيناً ، وتحقيق المخطوطات العتيقة حيناً آخر . . والكسل العقلي يهيمن على الكثيرين منهم فلا يجدون ما يحفزهم لأن يبذلوا جهداً «إضافياً» لإضاءة الطريق بقوّة النقد وآلياته أمام المبدعين الإسلاميين الذين ما يلبثون أن يجدوا أنفسهم محاصرين بالصمت فينطفئون !

إن هذا الكتاب ، فضلاً عما ينطوي عليه من قيم أدبية ونقدية ، يجيء في وقته المناسب تماماً : دعوة مفتوحة لكل

من يهمهم مصير الأدب الإسلامي الذي ينهض قائماً لكي ينسج البديل الذي يليق بموقع الإنسان في هذا العالم ، قبالة كل الآداب الأخرى التي انحدرت به بعيداً عن مكانه العالي . .

وليس غير النقد من يقدر على أن يأخذ بيد هذا الوليد فيعينه على النهوض . . ويدلّه على الطريق . . من أجل أن يتحقق الوعدْ . . وما ذلك على الله بعزيز . .